بسم الله الرحمن الرحيم

أَمَانَةُ القَلَمِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَقْسَمَ بِالقَلَمِ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَشْرِيفًا، فَهُوَ أَدَاةُ العِلْمِ وَمَنْبَعُ المَعَارِفِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ وَحْيِهِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ، ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ، ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١)، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مُعَلِّمُ القُرآنِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَتْقِيَاءِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهَا مَلاذُ الصَّالِحِينَ، وَسَعَادَةُ العَامِلِينَ، وَاعلَمُوا أَنَّ دِينَنَا الحَنِيفَ دِينُ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، فَكَمْ نَوَّهَ بِشَأْنِ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَكَمْ دَعَا إِلَى اكْتِسَابِ المَعَارِفِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾(٢)، وَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالقَلَمِ وَالكِتَابَةِ فِي قَولِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(٣)، وَهَذَا القَسَمُ بِالقَلَمِ وَهُوَ أَدَاةُ

(١) سورة العلق/ ١-٥.

(٢) سورة طـــه/ ١١٤ .

(٣) سورة القلم / ١ .

الكِتَابَةِ، وَمَا يَسْطُرُونَ – أَيْ مَا يَكْتُبُونَ بِهِ مِنْ مَعَارِفَ – كُلُّهُ تَشْرِيفٌ لِلْعِلْمِ وَأَدَوَاتِهِ، وَيَكْفِي أَنَّ أَوَّلَ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ أَمَرَتْهُ بِالقِرَاءَةِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾(١)، وَلَمْ تَقُلْ لَهُ: افْهَمْ أَوِ اعْرِفْ؛ لأَنَّ القِرَاءَةَ هِيَ مُنْطَلَقُ الفَهْمِ وَالمَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ بِمُخْتَلَفِ صُوَرِهِ وَأَشْكَالِهِ، وَقَدِ امتَنَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِتَعلِيمِهِ مَا لَمْ يَعلَمْ فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٢).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ :

كَمْ سَطَّرَ القَلَمُ مِنْ أَمْجَادٍ، وَكَمْ خَطَّ مِنْ تَأْرِيخٍ، وَكَمْ حَفِظَ مِنْ تُرَاثٍ وَحَضَارَةٍ، فَالنَّصُّ المَكْتُوبُ هُوَ مِرْآةُ الأُمَّةِ، يُرِيهَا مَاضِيَهَا وَيُسَجِّلُ حَاضِرَهَا، لِيَنْقُلَهُ تُرَاثًا خَالِدًا لِمُستَقْبَلِهَا، بِهِ تُبْنَى الصُّرُوحُ وَتُشَادُ الحَضَارَاتُ، وَبِهِ تَثْبُتُ المَعَارِفُ وَيُكْشَفُ الزَّيفُ وَيُقَامُ الحَقُّ، وَكَمْ كَانَ لِلْكَلِمَةِ مِنْ حِكْمَةٍ لَقَّحَتِ الأَفْهَامَ، وَطَهَّرَتِ القُلُوبَ، وَقَوَّمَتِ المُعْوَجَّ، وَنَشَرَتِ الخَيْرَ، وَفَجَّرَتْ مَوَاهِبَ كَامِنَةً حَمَلَتِ الإِنْسَانِيَّةَ إِلَى أَوْجِ الرُّقِيِّ وَالتَّقَدُّمِ العِلْمِيِّ النَّافِعِ. لَقَدْ سَاءَتْ أَفْهَامُ بَعْضِ النَّاسِ عِنْدَمَا اتَّخَذَ مِنَ

(١) سورة العلق/ ١.

(٢) سورة النساء/ ١١٣.

الكِتَابَةِ تَرْوِيحًا لِلنَّفْسِ وَإِضَاعَةً لِلْوَقْتِ، مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ تَعُودُ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى أُمَّـتِهِ، فِي حِينِ أَنَّ الكَلِمَةَ أَمَانَةٌ يُحَاسَبُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا، يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١)، كَذَلِكَ يَجُورُ بَعْضٌ آخَرُ عِنْدَمَا يُغَالِي فِي كِتَابَاتِهِ وَحِوَارِهِ وَنِقَاشَاتِهِ لإِخْوَانِهِ، فَيَحْمِلُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الشَّتَائِمِ، وَعِبَارَاتِ السِّبَابِ وَبَذِيءَ القَوْلِ، وَالأَدْهَى وَالأَمَرُّ أَنْ يَجْرَحَ بَعْضَ الأَشْخَاصِ بِحُجَّةِ تَفْنِيدِ الدَّعَاوَى وَالرَّدِّ عَلَى الأَخْطَاءِ، مَعَ أَنَّ المَنْهَجَ السَّدِيدَ نَقْدُ الفِكْرَةِ لا نَقْدُ قَائِلِهَا، فَالغَايَةُ تَصْحِيحُ الأَفْكَارِ لا طَعْنُ الذَّوَاتِ.

إِنَّ خِضَمَّ الحَيَاةِ بَحْرٌ مُتَلاطِمٌ، يُرِيكَ عَجَائِبَ الأَحْوَالِ وَتَقَلُّبَاتِ البَشَرِ، فَفِـيهِمُ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ، وَالمُسْتَقِيمُ وَالمُعْوَجُّ، وَالبَصِيرُ وَالأَعْمَى، وَالذَّكِيُّ وَالغَبِيُّ، وَالحَلِيمُ وَاللَّئِيمُ، وَالعَالِمُ وَالجَاهِلُ، وَصَاحِبُ الفِكْرِ النَّاضِجِ هُوَ الَّذِي يَتَعَامَلُ مَعَ جَمِيعِ هَذِهِ الأَجْنَاسِ بِمِيزَانٍ دَقِيقٍ، لا يَشِطُّ بِهِ الهَوَى، وَلا يَمِيلُ بِهِ الزَّيْغُ، وَلا تَغْلِبُهُ فَوْرَةُ النَّفْسِ، وَلا يَحْمِلُهُ حُبُّ الانْتِقَامِ عَلَى الظُّلْمِ، أَوِ التَّشْهِيرِ أَوِ الطَّعْنِ أَوِ السَّبِّ أَوِ الشَّتْمِ، فَإِذَا ظَهَرْنَا فِي كِتَابَاتِنَا بِهَذَا المَنْهَجِ المُحْكَمِ لَمْ نَجِدْ مَنْ يَخْدِشُ الكَرَامَةَ أَوْ يُشَوِّهُ الأَخْلاقَ أَوْ يَنْأَى عَنِ الجَادَّةِ، فَلْيَكُنْ كُلُّ حَامِلِ قَلَمٍ مِنْ دُعَاةِ الفَضِيلَةِ وَالبِنَاءِ، وَالخَيْرِ وَالعَطَاءِ، فَإِنْ خَشِيَ زَلَلَ القَدَمِ فَلْيُجَفِّفْ حِبْرَ قَلَمِهِ قَبلَ أَنْ

(١) سورة ق/ ١٨ .

يَنْشُرَ مِدَادُهُ سُوءَ طَوِيَّــتِهِ، وَانْحِرَافَ سُلُوكِهِ، وَيَفْضَحَهُ وَقَدْ كَانَ مَستُورًا، وَقَدْ جَاءَ فِي الحِكْمَةِ: ((الكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي صَدْرِكَ، فَإِذَا أَخْرَجتَهَا صِرْتَ أَسِيرَهَا)).

عِبَادَ اللهِ :

إِنَّ القَلَمَ أَمَانَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِشَرْطِهِ فَازَ وَنَجَا، وَإِنْ ضَيَّعَ أَمَانَتَهُ ضَلَّ وَغَوَى، وَأَوَّلُ شُرُوطِهِ الإِخْلاصُ وَهُوَ سِرُّ نَجَاحِ كُلِّ عَمَلٍ، فَالقَلْبُ المُخْلِصُ عِنْدَمَا يَقْذِفُ بِالكَلِمَةِ الصَّالِحَةِ وَتَخُطُّهَا يَدُهُ الطَّاهِرَةُ؛ تَظْهَرُ بَرَكَتُهَا وَيَعُمُّ خَيْرُهَا، وَأَعنِي بِالإِخْلاصِ أَنْ يَقْصِدَ بِمَا يَكْتُبُ وَجْهَ اللهِ وَابتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، لا مُجَرَّدَ ارتِيَاحِ الضَّمِيرِ، وَالتَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ بِالكِتَابَةِ، أَوْ سَبْكِ الكَلامِ لِيُقَالَ عَنْهُ كَاتِبٌ مُتَمَكِّنٌ أَوْ مُحَاوِرٌ بَارِعٌ أَوْ مُنَاقِشٌ نَاجِحٌ، فَإِنَّ صَاحِبَ المَبْدَأِ لا يَقِفُ مَعَ الأَسْبَابِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَثِيرًا، وَإِنَّمَا يَصْعَدُ بِطَهَارَةِ كَلِمَتِهِ إِلَى مَنْ كَانَ سَبَبَ وُجُودِهِ، الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ، وَشَقَّ فِيهِ السَّمْعَ وَالبَصَرَ، وَمَنَحَهُ البَيَانَ مَعَ فَصَاحَةِ اللِّسَانِ، فَإِخْلاصُ مَا سَطَّرَ القَلَمُ يُؤَدِّي إِلَى سُمُوِّ الفِكْرَةِ وَجَمَالِ الكَلِمَةِ وَقُوَّةِ مَعْنَاهَا، فَهِيَ تَأْخُذُ قُوَّتَهَا مِنْ مَضْمُونِهَا لا مِنْ بَرِيقِهَا، فَإِذَا اجتَمَعَ حُسْنُ التَّعْبِيرِ مَعَ سَلامَةِ الضَّمِيرِ وَصَفَاءِ القَلْبِ وَبَرَاعَةِ نَسْجِ الكَلامِ كَانَ أَثَرُهُ

فِي النُّفُوسِ أَثَرًا بَالِغًا، وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ طَنَّانَةً رَنَّانَةً وَلَكِنَّهَا لا تَصِلُ إِلاَّ مَيِّتَةً، لأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ قَلْبٍ مَيِّتٍ، إِذْ فَقَدَتْ سِرَّ الإِخْلاصِ، أَمَّا كَلِمَةُ المُخْلِصِ فَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ كُلُّهَا دُفْعَةَ حَيَاةٍ، فَتَشْفِي النُّفُوسَ العَلِيلَةَ، وَتُنْعِشُ الأَفْئِدَةَ الكَلِيلَةَ، وَتُنِيرُ حَالِكَ الدُّرُوبِ، إِنَّهَا الكَلِمَةُ الَّتِي نُرِيدُهَا وَنَسْعَى إِلَيْهَا دَائِمًا، وَصَدَقَ رَسُولُ الإِسْلامِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – عِنْدَمَا قَالَ: ((إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً)).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ :

يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ القَلَمِ أَنْ يَقْصِدَ بِكِتَابَتِهِ إِصَابَةَ الحَقِّ، وَلَيْسَ الانْتِصَارَ لِلذَّاتِ، فَإِنَّ لِلنَّفْسِ حُبًّا لِلانْتِصَارِ، وَلَذَّةً لا تَعْدِلُهَا لَذَّةٌ؛ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الكُتَّابِ يَقْصِدُ مِنْ كِتَابَاتِهِ الانْتِصَارَ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَهُ، وَالفَوْزَ عَلَى كُلِّ مَنْ يُنَاقِشُ، حَتَّى يُسَلِّمَ لَهُ الجَمِيعُ بِالتَّقَدُّمِ، فَيَجْعَلُ هَمَّهُ مِنَ الكِتَابَةِ أَنْ يَجْذِبَ الأَنْظَارَ إِلَيْهِ، أَوْ أَنْ تَمِيلَ النُّفُوسُ إِلَى كَلِمَاتِهِ الفَذَّةِ، فَيَعُدُّ نَفْسَهُ فَارِسَ المَيْدَانِ بِلا مُنَازِعٍ، وَأَنَّهُ إِذَا حَاوَرَ لا بُدَّ أَنْ يَتْرُكَ الجَمِيعُ لَهُ الحِوَارَ، لأَنَّهُ الَّذِي يُوَضِّحُ المَعنى، وَيُزِيلُ اللَّبْسَ، وَيَكْشِفُ الحُجُبَ، وَهَذَا هُوَ الغُرُورُ بِعَيْنِهِ، فَتَرَاهُ يَنْتَقِي مِنَ الأَلْفَاظِ أَسْجَعَهَا، وَلا يُهِمُّهُ إِلاَّ إِسْكَاتُ مَنْ حَاوَرَ سَوَاءً بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ، لا تُهِمُّهُ الغَايَةُ وَإِنَّمَا

تُهِمُّهُ النِّهَايَةُ الَّتِي يَرْنُو إِلَيْهَا، وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ مَبْدَأٍ فَاسِدٍ نَشَرَ فِكْرَهُ المُنْحَرِفَ بِزُخْرُفِ القَوْلِ، وَتَضْلِيلِ العُقُولِ، وَتَحْوِيرِ الكَلامِ، وَقَدْ أَشَارَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ((وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ صَاحِبِهِ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى حَسَبِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ، فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقْتَطِعُ لَهُ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ))، أَيْ إِنَّ المُتَخَاصِمَيْنِ عِنْدَمَا يَتَحَاوَرَانِ رُبَّمَا يَكُونُ الظَّالِمُ بِحَلاوَةِ لِسَانِهِ يَغْلِبُ المَظْلُومَ بِالحُجَّةِ، فَيَكُونُ لِسَانُهُ تَضْلِيلاً لِلْخَلْقِ وَإِخْفَاءً لِلْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ فِي الوَاقِعِ يَقْتَطِعُ لِنَفْسِهِ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ، أَمَّا الأَمِينُ فِي كَلِمَتِهِ فَهُوَ الَّذِي يَقْصِدُ بِهَا إِصَابَةَ الحَقِّ وَالانْتِصَارَ لِلْمَظْلُومِ، وَبَيَانَ الصَّوَابِ، وَالتَّحْذِيرَ مِنَ الخَطَأِ، وَسَعَادَةَ هَذَا الوُجُودِ بِأَسْرِهِ، فَالحَقُّ مُبْتَغَاهُ، يَنْشُدُهُ مَعَ كُلِّ مَنْ يُحَاوِرُ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ المُحَاوِرُ صَدِيقًا أَوْ عَدُوًّا، حَبِيبًا أَوْ بَغِيضًا.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ :

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ أَخْلاقِ الكَاتِبِ عَدَمَ تَجْرِيحِ شَخْصِيَّةِ الآخَرِ، وَإِنَّمَا مُنَاقَشَةُ الفِكْرَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، فَإِنَّ الهَدَفَ هُوَ تَصْحِيحُ الفِكْرِ العَامِّ الَّذِي يَكْتُبُ فِي إِطَارِهِ كُلُّ حَامِلٍ لِلْقَلَمِ، فَالتَّجْرِيحُ لَيْسَ عِلاجًا لِلْقَضِيَّةِ، بِقَدْرِ مَا هُوَ هَتْكٌ

لِلأَعْرَاضِ، وَتَشْهِيرٌ بِالنَّاسِ، بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ، فَالغَايَةُ لا تُسَوِّغُ الوَسِيلَةَ، وَلَنْ نُعَالِجَ الخَطَأَ بِخَطَأٍ مِثْلِه، وَلَنْ يَزِيدَ المُخْطِئُ بَعْدَ تَجْرِيحِهِ إِلاَّ عِنَادًا وَإِصْرَارًا عَلَى خَطَئِهِ، بَلْ يَتَمَادَى فِي ضَلالِه وَغَوَايَتِه، وَقَدْ عَلَّمَنَا نَبِيُّنَا الكَرِيمُ ﷺ أَدَبًا رَفِيعًا فِي مُعَامَلَةِ المُخْطِئِ، وَأَنَّهُ يُرَاعَى عِنْدَ تَنْبِيهِهِ عَلَى الخَطَأِ إِصْلاحُ نَفْسِيَّــتِهِ، وَذَلِكَ بِسَتْرِهِ وَعَدَمِ التَّشْهِيرِ بِهِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَقُولُ: ((مَا بَالُ رِجَالٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا))، ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا))، وَهَذَا عَلَى العُمُومِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ أَسْمَاءٍ مُعَيَّنَةٍ، ثُمَّ يَأْخُذُ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ– فِي شَرْحِ الخَطَأِ وَتَصْحِيحِهِ بِالدَّلِيلِ وَالحُجَّةِ، لا بِالمُمَاحَكَةِ وَاللِّجَاجِ، وَكَمْ جَمِيلٌ أَنْ نَرَى المَرْءَ مُلْتَمِسًا العُذْرَ لإِخْوَانِهِ إِذَا زَاغَ بِهِمُ الفَهْمُ فِي قَضِيَّةٍ مَا؟ وَلا مَجَالَ لِلشَّحْنَاءِ وَالبَغْضَاءِ مَا دَامَتِ النِّيَّةُ إِيصَالَ الخَيْرِ وَسَلامَةَ الحِوَارِ؛ فَكُلُّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُوَجِّهُنَا وَيُصَحِّحُ أَخْطَاءَنَا، وَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، وَاعْتَرَفَ بِخَطَئِهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأً أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ عُيُوبُهُ فَتَقَبَّلَهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، عِنْدَهَا سَيَسْعَدُ المُجْتَمَعُ وَتَبْلُغُ الأُخُوَّةُ غَايَتَهَا. أَمَّا التَّشْهِيرُ فَإِنَّهُ سَبَبُ البَلاءِ، وَهُوَ شَرٌّ وَعَنَاءٌ، وَمَنْ مِنَّا يَدَّعِي الكَمَالَ حَتَّى يَقْعُدَ لِلنَّاسِ كُلَّ مَرْصَدٍ، لا هَمَّ لَهُ إِلاَّ انْتِقَادُ هَذَا وَذَاكَ بِغَيْرِ حُجَّةٍ أَوْ دَلِيلٍ، وَرُبَّمَا قَصَدَ التَّنْقِيصَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَالحَطَّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَجَلْبَ الغَوْغَاءِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ

حَذَّرَنَا اللهُ فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١)، إِنَّ الكِتَابَةَ الوَاعِيَةَ هِي الَّتِي تَلْتَزِمُ القَوْلَ الطَّيِّبَ مِنْ آيَةٍ كَرِيمَةٍ أَوْ حَدِيثٍ شَرِيفٍ أَوْ حِكْمَةٍ نَافِعَةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ جَامِعَةٍ، أَوْ قِصَّةٍ هَادِفَةٍ، تَفْعَلُ فِعْلَهَا فِي النُّفُوسِ فَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَلاَ فَلْنَسْتَرْشِدْ بِهَذِهِ المَرَاشِدِ، وَلْنَسِرْ عَلَى هَذِهِ الخُطَا، وَلَنْ يُضِيعَ اللهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَالزَمُوا الأَمَانَةَ فِيمَا تَكْتُبُونَ، فَإِنَّكُمْ عَنْ ذَلِكَ مَسْؤُولُونَ، وَبَيْنَ يَدَيِ اللهِ مُحَاسَبُونَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعلَمْ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، عَرَفَهُ العَارِفُونَ بِالعِلْمِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَقُدْوَتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ وَحِزْبِهِ إِلَى يَوْمِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ.

(١) سورة البقرة / ٤٤ .

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللهِ :

إِنَّ أَمَانَةَ القَلَمِ لَتَستَدْعِي مِنَ الكَاتِبِ الجِدَّ فِي طَرْحِه، وَالصِّدقَ فِي قَولِه، وَوَضْعَ خُطُوطِ النَّجَاحِ لِمُجتَمَعِه وَأُمَّــتِه، وَكُلُّ أَنْوَاعِ الكِتَابَةِ رِسَالَةٌ هَادِفَةٌ مَا دَامَتْ صَادِقَةً مُخلِصَةً، تَحْتَ إِطَارِ التَّأْلِيفِ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ، وَالقِصَّةِ الهَادِفَةِ، وَالخَاطِرَةِ النَّبِيلَةِ، وَالأَدَبِ الرَّاقِي بِنَثْرِه وَشِعْرِه. وَإِنَّ الكِتَابَةَ لَتَدْعُونَا أَيْضًا إِلَى العِنَايَةِ بِالعَرَبِيَّةِ الفُصْحَى؛ لأَنَّهَا لُبُّ هَذَا الدِّينِ، وَوِعَاءٌ اخْتَارَهُ اللهُ لإِنْزَالِ كِتَابِهِ الكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصفِه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(١)، وَذَلِكَ تَخْلِيدٌ لَهَا أَبَدَ الدَّهْرِ، وَتَشْرِيفٌ لَهَا، فَاللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ بِفُرُوعِهَا وَآدَابِهَا لَيْسَتْ لُغَةً مَحَلِّيَّةً أَوْ إِقْلِيمِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ جُزْءٌ مِنْ دِينِنَا، وَرَكِيزَةٌ مِنْ عَقِيدَتِنَا، وَلَيْسَ العِنَايَةُ بِالعَرَبِيَّةِ لِذَاتِهَا بِقَدرِ مَا هِيَ لِسَانُ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَتُرْجُمَانُهُ الَّذِي يُنْبِئُ عَنْ مَعَانِيه، وَبِقَدرِ تَعَمُّقِ الإِنْسَانِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ يَكُونُ فَهْمُهُ لِدِينِه وَمَنْهَجِ رَبِّه، وَكَذَلِكَ تَأَثُّرُهُ وَخَشْيَتُهُ، إِذْ إِنَّهُ يَفْهَمُ كَثِيرًا مِنْ أَسْرَارِ الكِتَابِ العَزِيزِ فَيَتَحَرَّكُ وِجْدَانُهُ، وَيَنْمُو إِيمَانُهُ، وَيَعْرِفُ سِرَّ عَظَمَةِ هَذَا الكِتَابِ العَزِيزِ، وَمَجْدِ هَذَا الدِّينِ

(١) سورة الشعراء/ ١٩٢-١٩٥.

التَّلِيدِ، فَعَلَينَا أَنْ نُولِيَ اهتِمَامًا بِعُلُومِ العَرَبِيَّةِ: نَحْوًا وَصَرْفًا، وَبَلاغَةً وَبَيَانًا، وَشِعْرًا وَأَدَبًا، وَإِذَا كَانَ الوَاحِدُ مِنَّا يَعْجِزُ عَنْ هَذَا وَذَاكَ، فَفِي أَقَلِّ تَقْدِيرٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَصُونُ بِهِ قَلَمَهُ وَلِسَانَهُ عَنِ اللَّحْنِ وَالخَطَأِ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ :

إِنَّ الاعتِنَاءَ بِالكِتَابَةِ وَالكِتَابِ سِمَةٌ بَارِزَةٌ تَدُلُّ عَلَى رُقِيِّ الأُمَمِ، فَالكِتَابُ هُوَ الجَلِيسُ وَالأَنِيسُ، يُغَذِّي العَقْلَ بِالمَعَارِفِ النَّافِعَةِ، وَيَفْتَحُ أَمَامَهُ الآفَاقَ الوَاسِعَةَ، وَأَيُّ أُمَّةٍ نَاجِحَةٍ، نَالَتْ شَرَفَهَا بِالعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ وَالقِرَاءَةِ وَالاطِّلاعِ، وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ آبَاؤُنَا فِي العُلُومِ، فَكَانَتْ بُيُوتُهُمْ عَامِرَةً بِالمَكْتَبَاتِ، أَمَّا اليَوْمَ فَنَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ بَينَهُمْ وَبَيْنَ الكِتَابِ فَجْوَةً، وَهَذَا التَّبَاعُدُ أَدَّى بِهِمْ إِلَى التَّرَاجُعِ وَالضُّمُورِ الفِكْرِيِّ وَالعِلْمِيِّ، وَمَا سَبَقَ المُخْتَرِعُونَ بِاكْتِشَافَاتِهِمْ إِلاَّ لأَنَّهُمْ عَرَفُوا قِيمَةَ العِلْمِ وَالكِتَابِ، وَنَحْنُ أُمَّةَ القِرَاءَةِ وَالعِلْمِ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ أَسْبَقَ مِنْ غَيْرِنَا إِلَى ذَلِكَ المِضْمَارِ، وَيَنْبَغِي أَنْ نُزِيلَ هَذِهِ الوَحْشَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الكِتَابِ، وَأَنْ نُحَبِّبَ أَبنَاءَنَا وَشَبَابَنَا فِي الكِتَابِ وَاقْتِنَائِهِ وَمُطَالَعَتِهِ، وَلِذَلِكَ تُعْنَى الدُّوَلُ بِإِقَامَةِ مَعَارِضِ الكِتَابِ إِيمَانًا مِنْهَا بِأَهَمِّيَّةِ الكِتَابِ وَدَوْرِهِ فِي نَشْرِ الثَّقَافَةِ وَالفِكْرِ وَالمَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ، وَإِنَّهَا لَفُرْصَةٌ لا تُعَوَّضُ لاقْتِنَاءِ الكِتَابِ المُنَاسِبِ،

وَمُطَالَعة أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَة مِنَ الكتَابَة فِي شَتَّى المَعَارِف، وَمُتَابَعَة مَا تُنْتِجُهُ العُقُولُ النَّيِّرَةُ مِنْ إِبْدَاعَاتٍ، حَتَّى تَتَكَامَلَ المَعْرِفَةُ لَدَى الإِنْسَانِ المُثَقَّف.

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَتَخَيَّرُوا الكُتُبَ النَّافِعَةَ لأَنْفُسِكُمْ وَأَبنَائِكُمْ، وَكُونُوا قُدْوَةً لَهُمْ فِي القِرَاءَة، وَاجْعَلُوا الكِتَابَ صَدَقَةً جَارِيَةً، نَتَهَادَى بِهِ فِيمَا بَيْنَنَا، وَنَقْفُهُ للهِ عَلَى قُرَّائِنَا، وَلْيَدْعُ كُلٌّ مِنَّا الدُّعَاءَ الَّذِي عَلَّمَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا، رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا، رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.